تناسُبُ المكوِّنات والأغراض الشعريّةفي شعر أحمد مطر

مقاربة أسلوبيّة

د/ عامر الجرّاح

جامعة ماردين أرتوكلو

amer.j.80@gmail.com

الملخّص

تدلّنا القراءة الفاحصة للشعر على تدخّل عناصر معينة في تكوينه؛ منها اللغويّ، ومنها غير اللغويّ. نرى أنّ تلكالمكوّنات تتمثّل في:الفكر والخيال والعاطفة والإيقاع واللغة. ولاحظنا أنّ كلًّا من تلك المكوّنات يتناسب مع أغراض شعرية معيّنة، فحضور العاطفة، مثلًا، يكثر في النصوص الشعرية ذات الأغراض التي تكثر فيها الشكوى، كالغزل والرثاء، في حين أن الفكر، يُستثمر في الأشعار ذات الأغراض التي تستوجب إعمال العقل كالسخريّة... وهكذا.لقد رأينا أننخصص هذا البحث للحديث عن التناسب بين الفكر (مكوّنًا) والسخريّة (غرضًا)، ولمّا رأينا أنّ السخريّة تحضر في شعر أحمد مطر أكثر من غيره بحيث تشكّل ظاهرة بارزة رأينا أن ندرسها عنده.

الكلمات المفتاحية: التناسب، المكوّنات، الأغراض الشعرية، الأسلوبية، شعر أحمد مطر.

Summary:

The analytical reading of poetry leads us to the intervention of certain elements in its composition, including linguistic and non-linguistic elements. In my opinion, these components are represented in intellect, imagination, passion, rhythm and language. In addition, we have noticed that each of these components suits a specific poetic purpose. The presence of the passion, for example, increases in the poetic texts which have purposes that complaint is frequent, such as flirt and elegizing. On the other hand, intellect is invested in poetic types which require reasoning and, as an example; we refer here to the purpose of irony which we will devote this research to talk about. In other words, we will discuss the proportion between intellect as a component and the Irony as a purpose. Since the poetry of Ahmed Matar has more Irony than other poets, we decided to study it.

***Keywords**: proportionality, components, poetic purposes, stylistic, poetry of Ahmed Matar.*

المقدمة

لا يخلو الحديث عن ارتباط الشعر بالفكر من صعوبات نظرًا لاختلاف الحقلين اختلافًا قد يصل إلى حدّ التعارض؛ لأن الشعر مشتقّ من الشعور، والشعور أمر قلبيّ، في حين أنّ الفكر أمر عقليّ، على أنّ هذا قد يبدو كلامًا عامًّا، ولا سيما في ظل الحركة الصاعدة للشعر الذي صار يتكئ على معطيات الأجناس الأخرى كالقصّ والحوار، ويتكئ كذلك على الأشكال العروضية الجديدة كالموشّح والتفعيلة وقصيدة النثر، ويستثمر جميع الأدوات الممكنة اللغويّة، وغير اللغوية التي يُعدّ الفكر من أبرزها. إنه يسعى إلى مواكبة التقدّمالذي تشهده الحياة على الأصعدة كافّة.

من المعلوم أن توظيف الفكر في الشعر يتجلّى غالبًا من خلال الخيال والمبالغة في التصوير، ونشير إلى أنّ علاقة الفكر بالشعر تختلف باختلاف الأغراض الشعرية، فإذا كان مجال العاطفة في الشعر يظهر في أغراض الغزل والرثاء والمديح، فإنّ الفكر يتّخذ من غرض الهزْل والسخريّة مسرحًا له، ولمّا كان غرض السخريّة بارزًا بشدّة في شعرأحمد مطر، استقرّ الأمر أن يكون البحث في الكشف عن علاقة التناسب تلك بين المكوّن (الفكر) والغرض (السخريّة) في شعر أحمد مطر، ومن ثمّ الكشف عن الجانب الأسلوبي لذلك التناسب، الأمر الذي يعكس أسلوب الشاعر في اعتماد الفكر أداة للشعريّة الفنّيّة، وللتعبير عن مواقفه الساخرة من الواقع.قد تبدو قيمة البحث في الكشف عن وجوه تلاقي النقيضين إن صحّ التعبير، كما يمكن أن تظهر في بيان أثر الفكر في إضفاء الطابع الفنّيّ على الشعر، وفي بيان أنه لا يختلف عن العاطفة في ذلك، فضلًا عن كشف النقاب عن علاقة الأدوات الشعرية بالأغراض.

تمّ اعتماد المنهج الوصفيّ القائم على تقصّي شعر أحمد مطر للكشف عن كيفية استخدام التعابير الساخرة التي تميط اللثام عن العمق الفكريّ في شعرهوعنقدرة الشاعر على تطويع فن السخريّة لنقد الواقع العربي الفاسد بغية إصلاحه؛ إذ ضاقت السبل الأخرى أمام إيجاد إصلاح حقيقي،فالشعر وسيلة استظهار لتعرية الواقع المرّ، ومن ثَمّ يمثّل دعوة مبطّنة للإصلاح عند الشاعر، وهذا هو الجانب الإيجابي فيها مع اتسامها بالسلبية من منظور آخر، وهذا الهدف النبيل وراء استعمال السخرية دفع الشاعر إلى توظيف الفكر في شعره ما أمكن، ولمّا كانت السخرية مجالًا رحبًا متكأً عليه كان لا بدّ للشاعر من اعتماد أساليب تسمح له بالحركة ضمن ذلك المجال؛فالبحث عن تلك الأساليب يميط اللثام عن أبرزالأساليب اللغوية المستعملة في الشعر؛كالسرد، والمفارقة، واللعب اللغوي.

رأينا أن نستهلّ البحث بالحديث عن ما يمهّد لبيان أساليب السخريّة والكشف عن الجانب الفكريّ فيها، فجعلنا ذلك الحديث في مدخلين؛ هما:

1- المفهوم العامّللسُخْرِيَّة.
2- السُخْرِيَّة عند أحمد مطر.

ثم رأينا أن تتلو المدخلين ثلاثة مباحث تتعلّق بالأساليب الفكرية اللغوية للسخريّة؛ مثل:

1- أسلوب السرد.
2- أسلوب المفارقة.
3- أسلوب اللعب اللغويّ.

ثم نختم البحث بذكر أبرز النتائج المتحصّلة منه. والله وليّ التوفيق.

المدخل الأوّل: مفهوم السُخْرِيَّة

إن بيان مفهوم السخريّة أمر ضروري في سياق الكلام على علاقتها بالفكر، وفي سياق الحديث عن الأساليب الفكرية الموظّفة فيها، فالسخريّة فياللغة: بمعنى الهُزْء؛ جاء في اللسان: "سَخِرَ منه وبه سَخْراً وسَخَراً ومَسْخَراً وسُخْراً، بالضم،وسُخْرَةً وسِخْرِيّاً وسُخْرِيّاً وسُخْرِيَّة: هزئ به؛ ويروى بيت أَعشى باهلة على وجهين:

إني أَتَتْنِي لِسانٌ، لا أُسَرُّ بها مِنْ عَلْوَ، لا عَجَبٌ منها ولا سُخْرُ[1]

ويروى: ولا سَخَرُ... الفراء: يقال سَخِرْتُ منه، ولا يقال سَخِرْتُ به. قال الله تعالى:(لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ)[الحجرات: 11].سَخِرْتُ من فلان هي اللغة الفصيحةُ"[2]. وثمة عبارات كثيرة تحمل دلالة السخريّةكالاستهزاء والاحتقار، والطعن، والدعابة والهزل والتندّر، والتعريض وغيرها، على أنها كانت الأنسب للتعبير عن مراد الشاعر وطبيعة شعره التي يعبّر بها عن مرارة الواقع وتعريته بغية الإصلاح بأسلوب فنّيّ رفيع.

والحقّ أن المعنى الاصطلاحيّ للسخرية يسوّغ اختيارنا لها دون غيرها؛ ففي الاصطلاح قال أبو حامد الغزالي (ت505هـ): "ومعنى السخرية الاستحقار والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقائص، على وجه يضحك منه، وقد يكون ذلك بالمحاكاة في القول والفعل، وقد يكون بالإشارة والإيماء، وإذا كان بحضرة المستهزأ به لم يُسمَّ ذلك غيبةً، وفيه معنى الغيبة"[3]. وقال ابن النحاس (ت814هـ) بعد أن ساق تعريف الغزالي الآنف: "وقد يكون ذلك بالمحاكاة في القول والفعل، وقد يكون بالإشارة والإيماء، وقد يكون بالضحك؛ كأن يضحك على كلامه إذا تخبط فيه أو غلط، أو على صنعته، أو قبح في صورته ونحو ذلك"[4], ويقول أبو حامد في السخرية: " إن ذلك قد يجري في الحضور ويجري أيضاً في الغيبة ومنشؤه

التكبر واستصغار المستهزأ به"[5]. وقال ابن تيمية (ت728هـ): "الاستهزاء هو: السخرية؛ وهو حمل الأقوال والأفعال على الهزل واللعب لا على الجدّ والحقيقة، فالذي يسخر بالناس هو الذي يذمّ صفاتهم وأفعالهم ذمًّا يخرجها عن درجة الاعتبار، كما سخروا بالمطّوّعين من المؤمنين في الصدقات"[6].

ويعود أصل المصطلح عند الغرب إلى الكلمة اليونانية (eirôneia) التي اشتق منها المصطلح الأوربي للسخرية، و"كانت وصفًا للأسلوب في كلام إحدى الشخصيات في الملهاة اليونانية القديمة المسمّى بإيرون (eirôn) وكانت هذه الشخصية تتميز بالضعف والقصر مع الخبث والدهاء... أمّا السخرية في مفهومها البلاغي فهي طريقة في الكلام يعبّر بها الشخص عن عكس ما يقصده بالفعل"[7]. إنها وفق ذلك المفهوم تقابل مصطلح التورية، غير أنّ الغرض بينهما يختلف، فالغرض من التورية الإخفاء، ومن السخريّة الإضحاك، ويبقى للسخرية في الأدب لونها الخاصّ، ولا سيما في أدب أحمد مطر، فهي تهدف إلى نقد الواقع بغية تعريته وإصلاحه، ومن ثمّ تكتسي حلل الجمال والإمتاع من حيث شكلها، وترتقي في مدارج الإنفاع من حيث مضمونها، وذلك بأن تعدّ طريقًا خاصًّا للتعبير عن القضايا التي تدعو إلى الانتقاد في الأشخاص والمجتمعات.

المدخل الثاني: السُخْرِيَّة عند أحمد مطر

للسخرية، في الواقع، جانبان: سلبيّ بمعناه العام، وهو ما يصوّره الشرع الإسلامي؛ كما في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ...} [الحجرات: 11].وقوله: {أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى علَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ} [الزمر: 56].وفي قول النبيّ- عليه الصلاة والسلام-: (بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه)[8]. وعن عبد الله بن مسعود قال: (لو سخرت من كلب، لخشيت أن أكون كلبًا)[9].وقال أبو موسى الأشعري: (لو رأيت رجلًا يرضع شاة في الطريق فسخرت منه، خفت أن لا أموت حتى أرضعها)[10]. وهذه سخرية غير هادفة وهدّامة.

أمّا الجانب الآخر للسخريّةفهو إيجابي، ولا سيما في أدب أحمد مطر، ومن منظور علم النفس؛ إذ تُعدّ سخريّة الإنسان من واقعه المزري نوعًا من آليات الدفاع النفسي التي يستخدمها الإنسان دون وعي منه كطريقة للتأقلم وحماية النفس من الوقوع في فخ الاكتئاب العميق. وهذا ما يفسّر تنامي أدب السخرية (النكات) في ظل الأزمات، كما تعدّ السخرية الأدبية سلاحًا فعّالًا لفضح الواقع الاجتماعي وتعريته بغية إصلاحه، والحق أن هذا ما لمسناه في شعر أحمد مطر، وكانت سخريته في شعره موظفة لفضح الواقع العربيّ بحكوماته وشعوبه وإعلامه وساسته وأدبائه المنافقين وجيوشه وانهزاماته وعاداته البالية وغير ذلك.

لقد كان الواقع العربيّ المرير الهمّ الأكبر للشاعر الذي سخّر شعره له، ولعل حياة الاضطهاد التي عاشها متنقّلًا من بلد إلى آخر، إلى أن استقرّ به المقام في بلاد الغرب، ثم مقارنة واقع الحياة المعيش في الغرب مع الواقع العربيّ، وكذلك علاقته مع الفنان التشكيلي الفلسطيني ناجي العلي الذي شاركه الشعور بالمأساة[11]، كل ذلككان له أثر كبير في انطباع شعره بطابع السخريّة.

اعتمد أحمد مطر أدوات فكرية لغوية معيّنة في التعبير عن سخريته من الواقع المرير، طبعت تلك الأدوات أسلوبه بطابع خاصّ، وجعلت من شعره (الفكريّ) قولًا ينضح بسمات الشعرية، والحقّ أن تلك الأدوات والأساليب عديدة اخترنا أبرزها؛ وهي: أسلوب السرد، وأسلوب المفارقة، وأسلوب اللعب باللغة.

المبحث الأول: أسلوب السرد

يعتمد أحمد مطر على هذا الأسلوب بكثرة في شعره، حتّى أن القارئ يكاد يجد نفسه أمام قصة شعرية لا شعر قصصي، بمعنى أن القصّ أو السرد يطغى على شعره إلى درجة التماهي بينهما، ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ اعتماد أسلوب السرد، أو الجمع بين الشعر والسرد أمرٌ لابد فيه من استخدام الفكر؛ إذ إن القصة في الأساس أداتها الفكر، ونذكر من أمثلة ذلك قوله في قصيدته المعنونة بـ(حكاية عبّاس):

"عبّاس وراء المتراسْ/ يقظٌ منتبهٌ حسّاسْ/ منذ سنين الفتح يلمّع سيفهْ

ويلمع شاربه أيضًا/منتظرًا محتضنًا دُفّهْ/ بلع السارق ضَفّةْ

قلّب عبّاس القرطاس/ ضرب الأخماس لأسداس/ بقيت ضَفّة

لملم عبّاس ذخيرته والمتراس /ومضى يصقل سيفه

عبر اللصّ إليه، وحلّ ببيته/ أصبح ضيفه

قدّم عبّاس له القهوة/ ومضى يصقل سيفه

صرخت زوجته: عبّاس/ أبناؤك قتلى، عبّاس/ ضيفك راودني، عبّاس/ قم أنقذني يا عبّاس

عبّاس وراء المتراس/ منتبه لم يسمع شيئًا/ زوجته تغتاب الناس

صرخت زوجته: عبّاس، الضيف سيسرق نعجتنا

عباس اليقظ الحسّاس/ قلّب أوراق القرطاس/ ضرب الأخماس لأسداس

أرسل برقية تهديد/ فلمن تصقل سيفك يا عبّاس؟!

لوقت الشدة/ اصقلْ سيفك يا عبّاس"[12].

وتظهر جليّةً فكريّةُ الشعر، ومن ثمّ جماليته من خلال المزج بين أسلوب السرد القصصيّ وأسلوب الحوار المسرحيّ، والشاعر اعتمد ذلك كثيرًا في شعره، ومن ذلك قصيدته (التهمة) التي يقول فيها:

"كنتُ أسيرُ مفردًا/ أحملُ أفكاري معي/ ومنطقي ومسمعي

فازدحمت من حولي الوجوه/ قال لهم زعيمهم : خذوه

سألتهم : ما تهمتي؟! / فقيل لي : تجمع مشبوه"[13].

يبدو أن السرد عند أحمد مطر لا يقلل من شأن الشعرية رغم اعتماده على الفكر، ولا سيما في تمازجه مع الحوار، كما يبدو أن أسلوب السخرية هو الذي أسهم في تزاوج الشعر مع السرد أو الفكر، على اعتبار أن السرد محتاج إلى الفكر، فأنتج هذا التزاوج ذلك النموذج الفريد من الشعر. وثمة أمثلة أخرى كثيرة على أسلوب السرد، غير أنه يُكتفى بهذا المثال، ولا بدّ من الإشارة إلى أن السرد في شعر أحمد مطر يتراوح بين الطول والقصر والتوسط، وذلك تبعًا لنوع القصة، ولعل ذلك يتبع عمق الفكرة الذي تفرضه الواقعة المراد التعبير عنها.

المبحث الثاني: أسلوب المفارقة:

يقوم أسلوب المفارقة على إدراك فكرة التناقض التي تتجلّى عبر اتباع طرق الكذب والنفاق والتزوير، وتكون المفارقة بخرق قانون الإحالة اللغوية أو الاجتماعية، وكثيرًا ما تعد المفارقة على أنها لغة العقل والفطنة (الفكر)، وليست لغة الفنّ والشعر، على أنه لا تُعدم الروح الشعرية فيها حين تمتزج بالسخرية في شعر أحمد مطر؛ من ذلك:

"يضحكني العميان/ حين يقاضون الألوان/ وينادون بشمس تجريدية
تضحكني الأوثان/ حين تنادي الناس إلى الإيمان/ وتسبّ عهود الوثنية
يضحكني العريان/ حين يباهي بالأصواف الأوروبية
كان ويا ما كان/ كانت أمتنا المسبيّة
تطلب صكّ الإنسانية/ من شيطان"[14].

هذه المفارقة العجيبة بين حالة العمى ومقاضاة الألوان، وبين الأوثان والإيمان، وبين العري والأصواف، هذه مفارقات واضحة يفضي بها الشاعر إلى مفارقة أكبر هي غرضه في النهاية، ألا وهي طلب الإنسانية من الشيطان.

ومن هذا القبيل قصيدته ذات العنوان العريض (خطاب تاريخي) الذي تشعرك المفارقة بينه وبين المضمون، وكذلك بين جمل المضمون، بالعمق الفكري؛ إذ يعتمد هنا على التعبير الموجز أو ما يمكن أن نسمّيه الومضة التي تنتهي سريعًا لكن أثرها يدوم بفعل تأثير الفكر فيها؛ يقول:

"رأيت جرذًا يخطب اليوم عن النظافةْ/ وينذر الأوساخ بالعِقابْ/ وحوله يصفّق الذبابْ"[15].

وتتجلّى المفارقة أيضًا في اعتماد التضادّ، ويظهر ذلك كثيرًا في عناوين القصائد؛ مثل (الصحو في الثمالة)[16]، و(عاش يسقط)[17]، و(الحيّ الميّت)[18]، و(عزاء على بطاقة تهنئة)[19]، وغير ذلك، ومن شواهد استعمال التضادّ في شعره القصيدة الآتية:

"أنا لا أكتب الأشعارَ/ فالأشعار تكتبني

أريد الصمت كي أحيا/ ولكن الذي ألقاه ينطقني

ولا ألقى سوى حزنٍ، على حزنٍ، على حزنِ

أأكتب أنني حيٌّ على كفني ؟

أأكتب أنني حر/ وحتى الحرف يرسف بالعبوديةْ ؟

لقد شيّعتُ فاتنةتسمى في بلاد العرب تخريبًا وإرهابًا/وطعنًا في القوانين الإلهية

ولكن اسمها والله ... /لكن اسمها في الأصل حريةْ"[20].

ومن طريف ما نراه في شعره ممّا اعتمد فيه أسلوب المفارقة قوله:

"بِملءِ رغبتي أنا/ ودونَما إرهابْ

أعترِفُ الآنَ لكم بأنّني كذّابْ!

وقفتُ طول الأشهُرِ المُنصَرِمهْ

أخْدَعُكُمْ بالجُمَلِ المُنمنَمهْ

وأَدّعي أنّي على صَوابْ

وها أنا أبرأُ من ضلالتي/ قولوا معي: اِغْفرْ وَتُبْ يا ربُّ يا توّابْ.

قُلتُ لكُم: إنَّ فَمْي في أحرُفي مُذابْ

لأنَّ كُلَّ كِلْمَةٍ مدفوعَةُ الحسابْ

لدى الجِهاتِ الحاكِمهْ.

أستَغْفرُ اللهَ .. فما أكذَبني!/ فكُلُّ ما في الأمرِ أنَّ الأنظِمهْ

بما أقولُ مغْرَمهْ

وأنّها قدْ قبّلتني في فَمي/ فقَطَّعتْ لي شَفَتي/ مِن شِدةِ الإعجابْ!

أوْهَمْتُكمْ بأنَّ بعضَ الأنظِمهْ

غربيّةٌ.. لكنّها مُترجَمهْ

وأنّها لأَتفَهِ الأسبابْ

تأتي على دَبّابَةٍ مُطَهّمَهْ/ فَتنْشرُ الخَرابْ

وتجعَلُ الأنامَ كالدّوابْ

وتضرِبُ الحِصارَ حولَ الكَلِمهْ.

أستَغفرُ اللهَ .. فما أكذَبني!/ فَكُلُّها أنظِمَةٌ شرْعيّةٌ/ جاءَ بها انتِخَابْ

وكُلُّها مؤمِنَةٌ تَحكُمُ بالكتابْ/ وكُلُّها تستنكِرُ الإرهابْ

وكُلّها تحترِمُ الرّأيَ/ وليستْ ظالمَهْ

وكُلّها معَ الشعوبِ دائماً مُنسَجِمهْ!

قُلتُ لكُمْ: إنَّ الشّعوبَ المُسلِمهْ/ رغمَ غِناها .. مُعْدمَهْ

وإنّها بصوتِها مُكمّمَهْ/ وإنّها تسْجُدُ للأنصابْ

وإنَّ مَنْ يسرِقُها يملِكُ مبنى المَحكَمهْ/ ويملِكُ القُضاةَ والحُجّابْ.

أستغفرُ اللّهَ .. فما أكذَبَني!/ فها هيَ الأحزابْ

تبكي لدى أصنامها المُحَطّمهْ

وها هوَ الكرّار يَدحوْ البابْ/ على يَهودِ الدّونِمَهْ

وهاهوَ الصِّدّيقُ يمشي زاهِداً مُقصّرَ الثيابْ

وهاهوَ الدِّينُ لفَرْطِ يُسْرِهِ/ قَدْ احتوى مُسيلَمهْ

فعادَ بالفتحِ .. بلا مُقاوَمهْ/ مِن مكّةَ المُكرّمَةْ!

يا ناسُ لا تُصدّقوا/ فإنّني كذَابْ!"[21].

فالشاعر هنا يمزج الحقيقة بالكذب بأسلوب ساخر، فيعبّر عن كذبه وهو في الأصل صادق، وينتقل من الصدق الحقيقي إلى الصدق الإيهامي بحركة فنية فريدة تتجلى فيها المفارقة بأسمى صورها، ولا شكّ في أنّ الفكر هو الذي أسهم في ذلك كلّه.

يعيدنا ذلك الكلام إلى حركة التطوّر التي شهدها الشعر العربيّ انطلاقًا من منتصف القرن الثاني للهجرة حين ظهر تيار الشعراء المولّدين أمثال بشار وأبي نواس وأبي تمّام الذين خرجوا على عمود الشعر الذي فُرِضَ على الشعر زمنًا طويلًا؛ ذلك العمود الذي حصر الشعر في زاوية الوضوح والابتعاد عن المبالغة وقرب التصوير[22].

المبحث الثالث: أسلوب اللعب باللغة

يقوم هذا الأسلوب على استثمار طاقات اللغة في التعبير، من حيث التصريف أو الاشتقاق أو التوليد أو التقليب أو المقاربات اللفظية أو غيرها، وتمثّل اللغة العربية باتساعها مجالًا رحبًا للّعب اللغوي، ونذكر من الأساليب التي اتبعها الشاعر أسلوب اعتماد الجذر اللغوي والتقاليب؛ يقول:

"من أحرف ثلاثة أشتقُّ ألف سرْ/ لست بساحر أنا/ لكن ما يجري هنا/ يذهل حتى السحرْ!

إلعبْ معي:حاء وباء ثم راء: (حبرْ)./خذه... وهات الشعرْ.

لا ترتعدْ/ أنت هنا... حاء وراء: (حرْ)!/ باء وحاء: (بحْ)

قل كل ما تودّه... وعندما تبح/ راء وحاء: (رح)!

باء وراء: (بر). / باء وراء: (بر)./ باء وراء: (بر) .

كم نعمة بكلمة! / يا للحروف الغر. / باء وحاء ثم راء: (بحر)

راء وحاء ثم باء: (رحب)/ أطفئ لهيب الحر

واملأ شغاف القلب./ هذا الهواء كله/ حاء وباء: (حب)!

راء وباء: (رب) / منتقم مسيطر... ولا يثير الرعب !

يعفو عن العبد وإن كان عظيم الذنب./ يقول يا عبد ائتني بالحب. / لا بالضرب

ولو أتاه تائبا... يقبل منه التوب .

وإن عصى/ لم يستلمه بالعصا/كزاهد يرقص طول وزره/ وراء قصر الثوب!

هذي الحروف كيفما تحركت تحت يديجاءت بمعنى عذب!

ما بال هذا الكلب/ما حركتها يده/ إلا وقامت: (حرب) ؟!"[23].

ومن الشواهد التي اعتمد فيها الشاعر على اللعب اللغوي قصيدة (الألثغ يحتج)؛ يقول:

"قرأَ الألثَغُ منشورًا ممتلئًا نقدا/ أبدى للحاكِمِ ما أبدى:

(الحاكِمُ علّمنا درسًا.../ أنَّ الحُريةَ لا تُهدى

بلْ ... تُستجدى!/ فانعَمْ يا شَعبُ بما أجدى.

أنتَ بفضلِ الحاكِمِ حُرٌّ/ أن تختارَ الشيءَ، وأنْ تختارَ الشيءَ الضِدّا

أن تُصبِحَ عبدًا للحاكِمِ/ أو تُصبِحَ للحاكِمِ عَبدا)!

جُنَّ الألثغُ / كانَ الألثغُ مشغوفًا بالحاكِمِ جِدَا

بصَقَ الألثغُ في المنشورِ، وأرعَدَ رَعْدا :

(يا أولادَ الكلبِ كفاكُمْ حِقْدا. / حاكِمُنا وَغْدٌ وسيبقى وَغْدا)./ يَعني وَزْدا

وُجِدَ الألثغُ مدهوسًا بالصُّدفَةِ ..عَمْدا !"[24].

ففكرة الجمع بين الوغد والورد اللتين لا رابط بينهما في اللغة إلا بالرجوع إلى العيب اللغوي وهو اللُّثْغة، يعدّ لعبة لغوية فريدة يظهر فيها أثر الفكر جليًّا، ثم استثمار ذلك في السخرية من الشعوب اللاهثة وراء حكّامها الطغاة، هذا من الإبداع الفائق.

ومن الأمثلة على اللعبة اللغوية أيضًا الاعتماد على الجناسات؛ يقول الشاعر:

"قادتنا أنصابُ/ أشرفهم نَصّابُ !/ في حربهم نُصابُ/ ومالنا نِصابُ

لو فرقوا الأسلاب والرواتبْ .

نموت .. والسلامْ/ وقادة السلامْ/– عليهم السلامْ –/ يحيون في سلامْ

وواجب الواعظ قول الواجبْ .

تُرمى لنا في البابْ/ مواعظ الأربابْ :/ قلْ يا أولي الألبابْ:/ قصّوا من الجلباب

واعفوا اللحى .. وقصروا الشواربْ .

وواعظ المزادْ/ يغلب شهرزادْ ./ فإن خير الزادْ/ بالكذب يستزادْ

إن لم يُشِر لنصب ذي المناصبْ..."[25].

خاتمة ونتائج

لا يخفى التناسب في الشواهد الشعرية السابقة بين مكوّن (الفكر) وغرض (السخرية)، ويُعدّ هذا البحث مدخلًا للكشف عن وجوه التناسب الأخرى بين مكوّنات الشعر وأغراضه، كما يُعدّ بابًا إلى تأسيس مدخل في الشعرية العربية، واتّضح أنّ أقرب المكوّنات إلى غرض السخرية هو مكوّن الفكر بأدواته الفنّيّة البارزة المتمثّلة في السرد والحوار، وفي المفارقة والتضادّ، وفي اللعب باللغة بما تمتلكه من تصاريف واشتقاقات وتوليد وتقاليب ومقاربات اللفظية، كل ذلك استثمره الشاعر أحمد مطر مازجًا بين الشعرية والفكر في سبيل بناء كونه الساخر الذي حاول من خلاله مقاربة الواقع المرير الذي تعيشه الشعوب العربية في ظلّ الحكام الطغاة، وفي ظل حالة الخنوع المستشرية بينهم، لقد كان أدبه الساخرإيجابيًّا هادفًا، فالسخرية فن أدبي هادف يتّكئ على الفكر على نحو واضح، وظهر أنّ الفكر هو الذي منحه القيمة الفنّيّة العالية، كما لوحظ أن الأساليب المتبعة في السخرية هي من قبيل الأدوات التي تنسج من خيوط الفكر، وقد تضعف فيها العاطفة لذلك، غير أن السمة الشعرية مازالت تظهر فيها، وإن لم تكن بالشعرية الطافحة.

أفضى أسلوب السرد من خلال تماسكه اللغوي إلى التماسك الفنّي، وتتجلّى الفنّيّة فيه على نحو أكبر بامتزاجه مع الحوار، وهو ما أكثر الشاعر من الاتكاء عليه في شعره، وأسلوب المفارقة الذي يمنح النص إيقاعه الداخلي وتوتره الدلالي يقرّبه إلى ساحة الشعرية، وتمثّلت تجلّياته في مفارقة الواقع، وفي اعتماد التضادّ سواء في العنوانات أم في المضامين والمتون، كما تتجلّى المفارقة في المزج بين الحقيقة والكذب بأسلوب بديع يكشف عن قدرة الشاعر وعمق فكره، وكذلك فعل أسلوب اللعب اللغوي الذي لا يختلف عن المفارقة في إيقاعها وتوترها، ولا عن السرد في تماسكه، ومن أشكال الألعاب اللغوية التي عزف عليها الشاعر ممّا ذُكر آنفًا التقاليبوالجناسات وعدم الفصاحة اللفظية المتمثّلة في اللُّثْغة.

إنّ الشاعر في كلّ تلك الأساليب أفاد من الفكر ووظّفه في خدمة ما أراده، حتى أصبح القارئ يجد نفسه أمام شاعرٍ مفكّرٍ، ومفكّرٍ شاعرٍ نجح في توظيف الفكر في السخريّة، وفي توظيف كل ذلك في التعبير عن قضاياه ومواقفه تجاه الواقع العربيّ السيّئ، ونشير أخيرًا إلى أنّ مكوّن الفكر يمكن أن يتناسب مع أغراض أخرى، مع تأكيدنا حتمية صلته بغرض السخريّة، كما نشير إلى أنّ اعتماد الفكر في الشعر يمكن أن يتعلّق بطبيعة الذات الشاعرة، بمعنى أنه يمكن أن نرى شاعرًا يتكئ على الفكر في بناء شعره على اختلاف أغراضه، على نحو ما نجده عند أبي تمّام مثلًا.

The proportion of the poetics' component and purposes in the poetry of Ahmed Matar;

A stylistic approach

Abstract:

The analytical reading of poetry leads us to the intervention of certain elements in its composition, including linguistic and non-linguistic elements. In my opinion, these components are represented in intellect, imagination, passion, rhythm and language. In addition, I have noticed that each of these components suits specific poetic purposes. The presence of the passion, for example, increases in the poetic texts which have purposes that complaint is frequent in them, such as flirt and elegizing. On the other hand, intellect is invested in poetic types which require reasoning such as the purpose of irony. Since the irony is found a lot in the poetry of Ahmed Matar,I will devote this research to talk about it. In other words, I will discuss the proportion betIen intellect as a component and the Irony as a purpose. Then, I will shed the light on the stylistic and linguistic aspect of that proportion, which reflects the poet's method of adopting the Intellect as a tool for artistic poetry, and to express his ironical attitudes about reality. The value of the research appears to be in revealing the aspects of the two contrasts, if I may say so. It can be seen in the statement of the intellect's effect on giving an artistic nature of the poetry.Furthermore, it can be noticed

in the statement that shows no difference betIen intellect and emotion in that effect. Finally, the research will disclose the relationship of poetic instruments with purposes.

I will investigate the poet's poetry to reveal how to use the sarcastic expressions that disclose the intellectual depth of the poetry. And the ability of the poet to adapt the art of irony to criticize the corrupt Arab reality in order to reform it as there was no other ways that could find a real reform.Because the poetry is the poet´s only way to erase the bitter reality and reform, and this is the positive side of it even though it has a negative side from another perspective.This noble goal, behind the use of irony, pushed the poet to use the intellect in his poetry whenever possible. Since the irony is a wide area that is leaned on, it was necessary for the poet to adopt methods that allow him to move within that area because the search for these methods reveals the most prominent methods of language used in poetry such as; narration, paradox, and language play.

Ithought of opening the research by talking about what eases the way for showing the methods of ironic and intellectual aspect in it, and this research is in two parts:

1 - The general concept of irony in language and terminology, moving on mentioning the meaning of the concept according to Isterners and its relationship to metaphorical language.

2 - Irony of Ahmed Matar. I will talk here about the negative and positive sides of the irony, pointing out that irony in the literature of Ahmed Matar follows the second type (positive) because it was employed to expose the Arab reality with its governments, people, media, politicians, hypocrites, armies, obligations and bad habits etc…

Then I follow them by three questions related to the linguistic intellectual methods of irony:

1 - Narrative style.

2 –Paradox style.

3 - Language play style.

Then I conclude the research by mentioning the most prominent results of it.

May Allah grant success.

الإحالات

[1]– يُنظر: ابن الشجري: مختارات شعراء العرب، ضبطها وشرحها: محمود حسن زناتي، ط1 مطبعة الاعتماد، مصر 1344هـ–1925م. ج1، ص8.

[2] – ابن منظور: لسان العرب، تح: علي شيري، ط1 دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان 1408هـ /1988م، مادة (س خ ر).

[3] – أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ط1 دار المنهاج، المملكة العربية السعودية– جدة 2011. 469/5.

[4] – ابن النحّاس: تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين، تح: عماد الدين عباس سعيد، ط1 دار الكتب العلمية، لبنان 1987م. ص258.

[5] – أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين: 522/5.

[6] – ابن تيمية: الفتاوى الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا– مصطفى عبد القادر عطا، ط1 دار الكتب العلمية، لبنان 1987م. 22/6.

[7] – مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، ط2 مكتبة لبنان، بيروت 1984, ص198.

[8]– مسلم بن الحجاج: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، ط1 دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت)، ج4، ص1986، رقم2564.

[9]– ابن أبي شيبة: المصنف في الأحاديث والآثار، تح: كمال يوسف الحوت، ط1 مكتبة الرشد، الرياض 1409، ج5، ص231، رقم25546.

[10] – نفسه: 230/5، رقم 25544.

[11]– يُنظر: أحمد مطر: المجموعة الشعرية، ط1 دار الحرية، بيروت 2011. ص 5.

[12] – نفسه: 18.

[13]– نفسه: 14.

[14] – نفسه: 32.

[15] – نفسه: 15.

[16] – يُنظر: نفسه: 23.

[17] – يُنظر: نفسه: 23.

[18] – يُنظر: نفسه: 36.

[19] – يُنظر: نفسه: 44.

[20] – نفسه: 33.

[21] – نفسه: 45– 46.

[22] يُنظر: الآمدي، الحسن بن بشر: الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط4 دار المعارف (د.ت)، ج1، ص4–5. والقاضي الجرجاني، أبو الحسن علي بن عبد العزيز: الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق

وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه (د.ت)، ص33-34. والمرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد: شرح ديوان الحماسة، تحقيق : أحمد أمين وعبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى 1991م. ج1، ص9.

[23] – نفسه: 190.

[24] – نفسه: 195.

[25] – نفسه: 234.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1-الآمدي، الحسن بن بشر: الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط4 دار المعارف (د.ت).

2-أحمد مطر: المجموعة الشعرية، ط1 دار الحرية، بيروت 2011.

3-ابن تيمية: الفتاوى الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا- مصطفى عبد القادر عطا، ط1 دار الكتب العلمية، لبنان 1987م.

4-أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ط1 دار المنهاج، المملكة العربية السعودية- جدة 2011.

5-ابن الشجري: مختارات شعراء العرب، ضبطها وشرحها: محمود حسن زناتي، ط1 مطبعة الاعتماد، مصر 1344هـ-1925م.

6-ابن أبي شيبة: المصنف في الأحاديث والآثار، تح: كمال يوسف الحوت، ط1 مكتبة الرشد، الرياض 1409.

7-القاضي الجرجاني، أبو الحسن علي بن عبد العزيز: الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه (د.ت).

8-مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، ط2 مكتبة لبنان، بيروت 1984.

9-المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد: شرح ديوان الحماسة، تحقيق : أحمد أمين وعبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى 1991م.

10-مسلم بن الحجاج: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، ط1 دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت).

11- ابن منظور: لسان العرب، تح: علي شيري، ط1 دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان 1408هـ /1988م.

12- ابن النحّاس: تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين، تح: عماد الدين عباس سعيد، ط1 دار الكتب العلمية، لبنان 1987م.